

أقطاب اليهود والوطن القومي

إذا استثنينا الأمة الصينية فليس بين أم العالم الآن أمة تستطيع أن ترجع في تاريخها إلى أقدم من تاريخ الأمة القبطية والأمة اليهودية . أما الاقباط فالذين احتفظوا منهم باسمهم وكيانهم كأمة لا يزالون كلهم في الوطن الذي كان فيه أسلافهم منذ ستة آلاف سنة . وأما اليهود فقد تفرقوا في أقطار المسكونة منذ أكثر من ألفي سنة ولا يزالون متفرقين ولم يبق منهم في وطنهم الأصلي أكثر مما نجد منهم في طائفة كبيرة من عواصم أوروبا وأمريكا . وقد عنوا في كل بلاد دخلوها بالاشغال العقلية والأدبية والمالية . فهم جمهور من كبار العلماء والفلاسفة والكتّاب وأصحاب البنوك ورؤساء الشركات . وقد نزعوا حديثاً إلى السياسة فكان منهم لورد بيكنسفيلد الذي كان من أكبر وزراء انكلترا وأكتب كتبها وأخطب خطبائها . وفي الحكومة الانكليزية الآن ثلاثة من أقطابهم المستر منتاغيو وزير الهند والسر هربرت صموئيل المعتمد السامي في فلسطين ولورد ردينج حاكم الهند

والشريف ادورد صموئيل منتاغيو ابن لورد سوايشنج ولد سنة ١٨٧٩ ودرس في جامعة كمبريدج وعين سكرتيراً لوزير المالية ثم رئيس الوزراء ثم وكيلاً لوزير الهند ثم وكيلاً لوزير المالية ثم وزيراً للذخيرة في زمن الحرب ثم وزيراً لوزارة الهند ولا يزال فيها

والشريف السر هربرت صموئيل درس في جامعة أكسفورد فكان من أول النابغين فيها ودخل البارلت و جعل وكيلاً لوزارة الداخلية ثم وزيراً للبوستة ثم وزيراً للداخلية وأخيراً معتمداً سامياً لفلسطين

ولورد ردينج واسمه الأصلي بروفنر دانيال ايزكس كان من أكبر الحاخامين في انكلترا ثم صار مدعيًا صومياً فوزيراً للعتقانية . فصيلاً في أميركا والآن جعل حاكماً لبلاد الهند

ومن يقرأ تاريخ اليهود في أوروبا في العصور المظلمة وفي الشرق من أيام النبي الباطلي إلى الآن لا يسع إلا أن يرى فيهم قوة عقلية قائمة ومرونة أدبية واسعة مكنتهم من البقاء هذه العصور الطوال والتغلب على ما لم يستطع شعب

آخر التغلب عليه. فلكنمانيون والحيثيون والبابليون والاشوريون انقضوا كلهم كالم كبيرة ومن بقي من نسلهم لا يستطيع ان يثبت اثباتاً اليهم لا ديناً ولا دنياً حتى اليونان والرومان تركوا اديانهم الاولى وتنصروا وامتزجوا بأم أخرى. والاقباط تركوا اديانهم ايضاً وتنصروا كلهم ثم اعتنق اكثرهم الاسلام. واما اليهود فلا يزال نحو ثلاثة عشر مليوناً منهم منفصلين عن غيرهم متمسكين بمميزات دينهم لكنهم متفرقون في كل الاقطار ومتحدثون بلهجات الممالك التي استوطنوها قبل يحتمل ان يجتمعوا من اقطار المسكونة ويتركوا ما هم فيه من نعيم البلدان التي استوطنوها كفرنسا وانكلترا واميركا ومصر وينزحوا الى فلسطين ويتخذوها وطناً وهي لا تكاد تقوم بمعيشة سكانها الحاليين. او هل يحتمل ان يتركوا جنسياتهم والدول العظيمة التي تدافع عنهم ويصيروا من رعايا حكومة فلسطين. هذا كله مما يتمذرع علينا تصديقه.

وسكان فلسطين الآن من اديان مختلفة واكثرهم من المسلمين فاقم ٥١٢٠٠٠٠ واليهود ٥٦٦٠٠٠٠ والنصارى ٥٦٢٠٠٠٠ والسامرة ١٧٥٠٠٠ نفس

وفيها من الغرباء نحو ٢٥٠٠٠٠ فمدد كل سكانها نحو ٦٦٠ الفاً على ما جاء في كتاب فلسطين وتجديد حياتها. وقد يحتمل ان يزيد عدد السكان حتى يبلغ مليون-نفس او مليوناً ونصف مليون وتكون الزيادة كلها من اليهود وتبقى البلاد قادرة على القيام بهم اي يزيد عدد اليهود فيها حتى يبلغ نحو ٩٠٠ الف نفس لا غير لانه لا يحتمل ان يفضح كل السكان الاصليين حتى يهجروا بلادهم. وقاية ما نرى احتمالاً ان خيرات البلاد الطبيعية تستثمر فيزيد عدد سكانها الى هذا الحد وتكون فلسطين واورشليم للامة اليهودية مثل الحجاز ومكة للمسلمين ومثل ايطاليا ورومية للكاتوليك. ويكون هذا اعتبارها ايضاً لدى المسيحيين والمسلمين لان لها ارتباطاً دينياً بهم يقرب من ارتباطها الديني بالامة اليهودية فيخصها الجميع بالزيارة ويزيد ترددهم عليها. ولطيب هوائها وعلاقتها الدينية الشديدة باليهود يرجح ان بعض اقصياتهم واهل التقى منهم يثوب لهم منازل فيها يسكنونها في اخريات ايامهم حتى يدفنوا في ترابها. كل هذا يحتمل او مرجح أما أن تعود مملكة اسرائيل ويهودا كما كانت في عهد داود وسليمان ويعود اليها جميع اليهود المنتشرين في اقطار المسكونة فليس في احوال الامم الحاضرة ما يرجح او يجملة محتملاً

ثم أن احوال الشرق الادنى السياسية لم يقر القرار عليها نهائياً على ما يظهر فقد يمتثل ان يتغير كثير مما تم الاتفاق عليه بين فرنسا وانكلترا حتى الآن . وسواء تغير او بقي على ما هو عليه فلا يعقل ان اقطاب اليهود في اوروبا واميركا يجادلون تقض نوااميس الصمران وجمع اليهود من اقطار المسكونة الى ارض لا تسع مليونين من النفوس . ولكن المرجح انهم يبذلون مجهودهم في تدمير تلك البلاد المحسوبة مقدسة عند اصحاب الديانات الثلاث الكبرى المسيحية والاسلامية واليهودية فيشمل قمع عملهم سكانها كلهم

قيمة النتائج السلبية

قد يكون لنتائج السلبية في البحث العلمي فوائد لا تقل عن فوائد النتائج الايجابية بخلاف المشهور في اعمالنا العادية . فانه اذا طلب زيد شيئاً ولم يجده قلنا انه فشل واخفق واذا وجده قلنا انه فاز ونجح . وربما ذهبنا الى ابعد من ذلك قدحنا التمايز وضمننا الخفق على حد قول الخبيثة

والناس من يلقى خيراً قالون له ما يشتهي ولأم الخفق الهبل
اما في البحث العلمي فالامر ليس كذلك . نعم ان الباحث في العلم يقدم النتائج الايجابية على السلبية ويقدم على معالجة المسائل التي يرجح فوزه فيها ويحجم عن معالجة التي يتدر فيها فشل ولكن فكرة عدم المعالجة في المباحث العلمية مجبول في صدور كل عالم يطلب العلم لذاته وتجمله يقدم على معالجة كل مسألة تعرض له طلباً للحقيقة مهما تكن العثرات في سبيله كثيرة وسواء كانت النتيجة مما يحب او مما يكره

وقد اجازت الطبيعة المنصفة جماعة العلماء على غيرتهم العلمية هذه بان جعلت قيمة النتائج السلبية احياناً مضاهية لقيمة النتائج الايجابية . فذهب اينشتين الذي هو حديث لعلماء الآن انما هو نتيجة تجربة علمية جربها طالان قبلها متشلصن ومورلي فاخفقا فيها فلما اقدم اينشتين ثانية عليها عرف كيف يسير في سبيل حلها بتورقي ما وقع فيه العالمان المذكوران من المفوات ولزوم جادة اخرى رآها اقرب الى غرضه فبلغ المحجة وقاز بالارب